تمثلات اللغة الفرنسيّة الإجتماعيّة والثقافيّة
لدى طلاب الجامعات اللبنانيّة الفرنكوفونيّة الخاصّة

حياة عون*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة التمثّلات الإجتماعيّة والثقافيّة للغة الفرنسيّة اليوم، بالنسبة إلى طلاب الجامعات الفرنكوفونيّة الخاصّة في لبنان: الحكمة، الأنطونيّة، الروح القدس الكسليك والقديس يوسف التي اعتبرت تاريخيًّا فرنكوفونيّة. تمّ استخدام المنهج الوصفي وتكونت عيّنة الدراسة من ٣٢٦ طالبًا. وأُجريت الدراسة الميدانية باستخدام الإستبانة الإلكترونيّة كأداة بحثيّة. بيّنت النتائج أنّ الفرنسيّة ما زالت لغة أجنبيّة أساسيّة في لبنان، ولغة ثقافيّة بنظر الطلاب لأنّها مترسّخة في النظام التعليمي اللبناني. لكنّهم في الوقت نفسه لا يجدونها متجذّرة في ثقافتهم رغم استعمالها كلغة للتخاطب في المدرسة والعائلة والجامعة وبين بعض فئات المجتمع. وهي ما زالت تحمل موروثات تاريخيّة واجتماعيّة وثقافيّة حاضرة في يوميّاتهم ولو بنسب متفاوتة في الأهميّة؛ يعود السبب إلى انتشار اللغة الإنكليزيّة الواسع في أوساطهم كلغة عملانيّة يحتاجها الطلاب أكثر في تصوّرهم لمستقبلهم. في الوقت نفسه، تسعى مؤسّسات الفرنكوفونيّة بشكل متواصل للإبقاء على اللغة الفرنسيّة حاضرة في لبنان عبر التعليم والمشاريع المختلفة الموجّهة إلى الطلاب.

الكلمات المفاتيح: التمثّلات الإجتماعيّة والثقافيّة، اللغة الفرنسيّة، طلاب الجامعات، الفرنكوفونيّة

مقدمة

*طالبة دكتوراه في المعهد العالي للدكتوراه في العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجامعة اللبنانيّة hayat.aoun@gmail.com

حملت اللغة الفرنسيّة في لبنان تمثّلات اجتماعيّة وثقافيّة كثيرة، وكادت أن تكون لغة لبنان الرسميّة في العام ١٩٢٤ (مرسوم ٢١ آب ١٩٢٤) إلى جانب العربيّة في دستور مرحلة الإنتداب الفرنسي على لبنان، لتغدو بعدها لغة أجنبيّة أولى أو ثانية بعد تقدّم الإنكليزيّة نحو المرتبة الأولى. وحملت وزرًا إيديولوجيًّا هويّاتيًّا بين من واجه "العروبة" بـ"اللبننة" لإثبات انتماء إجتماعي خصوصي بُعيد إعلان لبنان الكبير، زمن تشظّي الهويّات. لكنّها حملت دومًا صفة النخبويّة لفئات ثقافيّة في مجالات الأدب والفكر والصحافة.

وإذا عدنا إلى البدايات لعرفنا أنّ تاريخ لبنان يشهد على غنى فكري، تلاقت فيه العديد من التأثيرات الثقافيّة المتراكمة عبر العصور، نظرًا لموقعه الجغرافي بين الشرق والغرب. وقد عرف تلاقحًا حضاريًّا بين ثقافات ولغات مختلفة كالفينيقية والآرامية واليونانية والعربية. ثم جاءت الإرساليات الدينيّة الفرنسيّة والبعثات البروتستانتيّة الأمريكيّة التي أرست الأسس الأولى لنظام تعليمي وأكاديمي شكّل النواة الخصبة لازدهار التعليم في لبنان، وأسهم في مرحلة ما بعلوّ شأنه في مجال العلم، حتّى أصبح مطلبًا ومقصدًا من الدول المحيطة. فترسّخ التنوّع اللغوي كإرث حمله اللبنانيّون وفاخروا به إلى اليوم. وأدّت الظروف السياسيّة التاريخيّة والإجتماعيّة أدوارها في ترسيخ طريقة عيش اللبنانييّن وانفتاحهم على الآخرين.

لم تأت اللغة الفرنسيّة بسبب الإحتلال الفرنسي كما حصل في معظم البلدان الفرنكوفونيّة في المنطقة، ولم تأت أيضًا مع الانتداب الفرنسي على لبنان (١٩٢٠-١٩٤٣)، بل تعود جذورها إلى ما قبل تأسيس دولة لبنان الكبير والجمهوريّة اللبنانيّة بحدودها الرسميّة اليوم. ويرى حافظ (Hafez, ٢٠٠٦) "أنّ حضورها كان سياسيًا ودينيًا في البداية قبل أن يصبح ثقافيًا ولغويًا وتجاريًا" (p١٣). إعتبر الكاتب ألفريد جيلدر Alfred Gilder في محاضرة في مؤتمر طبّي في بيروت، أن حقائق رئيسة ثلاث أسهمت في تأسيس اللغة الفرنسيّة في لبنان: إنشاء المدرسة المارونيّة في روما عام ١٥٨٤، ثم قدوم المستشرقين، وإنشاء مدرسة عين ورقا حيث كانت تُدرَّس لغات عدّة منها الفرنسيّة (Gilder, ٢٤/٠٤/٢٠١٣).

تركت الثقافة الفرنسيّة الأثر الأكبر على المجتمع اللبناني ووضعه اللغوي، واحتلت اللغة الفرنسية دائمًا مكانة متميّزة بين اللغات والثقافات الأجنبيّة التي مرّت في تاريخه، إذ كانت ولا زالت تمثّل إطارًا ثقافيًّا ومطلبًا علميًّا عند

شرائح واسعة من الشعب اللبناني، الذي يُعد تعدّديًّا وغنيًّا برأسماله الشبابي الجامعي، ووفرة مدارسه ومؤسّسات التعليم العالي فيه، التي كانت يومًا قبلة للدول المجاورة.

تسهم الجامعات الفرنكوفونيّة اليوم في الحفاظ على الإرث الفرنسي في التعليم، يتراوح من لغة التعليم الفرنسيّة الأساسيّة رغم إنفتاحها على اللغات والثقافات الأخرى؛ إلى المطبوعات التي تصدرها. يعود مثلاً تاريخ مطبوعات جامعة القدّيس يوسف إلى العام ١٩٠٦ كالمجلّة الفصليّة العلميّة Mélanges de la Faculté Orientale (M.F.O) التي ما زالت تصدر إلى اليوم، إضافة إلى كتب ودوريّات عدّة. كما تصمد اللغة الفرنسيّة في القطاع الجامعي أيضًا بسبب الشراكة مع المؤسّسات الأكاديميّة الفرنسيّة. توجد حتى الآن، خمسمئة شراكة جامعية فرنسية – لبنانية، ما يجعل فرنسا الشريك الأوّل للبنان في المجال الأكاديمي (Ambassade de France à Beyrouth, ٢٤/٠٢/٢٠٢٢) وهي ما تزال تحظى بالنسبة الأعلى من طلاب لبنان في الخارج، ما يقارب ٦٥٠٠ طالب للعام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠ بحسب الموقع الإلكتروني للمركز الثقافي الفرنسي في لبنان، كما إنّ الشبكة اللبنانية لمنظّمة التعليم الفرنسي في الخارج (AEFE) (Agence pour l'enseignement français à l'étranger[١] لا تزال الأكبر في العالم مع أكثر من ستّين ألف طالب (Institut Français du Liban, ٢٠٢١)

تبقى اللغة الفرنسيّة بحسب الشؤون الخارجيّة والتنمية الدوليّة في السفارة الفرنسيّة في لبنان، حاضرة للغاية في مؤسّسات التعليم العالي، ووفقًا للمديريّة العامّة للتعليم العالي، إن ثلاثين في المئة من الطلاب في الجامعة اللبنانيّة يتسجّلون في الأقسام الفرنسيّة بالكامل. تزيد هذه النسبة في الجامعات الفرنكوفونيّة الخاصّة (جامعة القدّيس يوسف، جامعة الروح القدس الكسليك، جامعة الحكمة أو الجامعة اللبنانيّة الفرنسيّة)، خصوصًا في اختصاصات العلوم، على الرغم من المنافسة المتزايدة من المؤسّسات الأنكلوفونيّة كالجامعة الأميركيّة والجامعة اللبنانيّة الأميركية، الخ (Campus France, ٢٠١٩,p.١٤-١٥) وتشارك باتّفاقيّات عديدة مع المؤسّسات الأكاديميّة الأجنبيّة،

[١] ان منظمة التعليم الفرنسي في الخارج هي مؤسسة عمومية تقع تحت وصاية وزارة الشؤون الخارجية. أنشئت في العام ١٩٩٠ وهي مسؤولة عن متابعة وتنشيط شبكة مدارس التعليم الفرنسي في الخارج.

الفرنسيّة منها على وجه الخصوص. وتقوم المؤسّسات الفرنكوفونيّة بنشاطات متعدّدة دعمًا للجامعات اللبنانيّة، قد يكون أهمّها الدور الذي تلعبه المنظّمة الجامعيّة الفرنكوفونيّة (AUF) لدعم الجامعات والطلاب اللبنانيين، عبر مشاريع ومؤتمرات وورش عمل، وتهدف إلى تعزيز اللغة وتدريب أساتذة اللغة الفرنسيّة. كما تدعم السفارة الفرنسيّة والمركز الثقافي الفرنسي في لبنان الجامعات اللبنانيّة، بخاصّة المؤسّسات الفرنكوفونيّة أو التي لها أقسام فرنسيّة اللغة. يمكّنهم هذا الدعم، من تطوير برامجهم وزيادة قدراتهم على استقبال الطلّاب وتدريب المعلّمين والباحثين، وتنظيم الندوات والمؤتمرات والمناسبات العلميّة الأخرى.

١- الإطار المنهجي للدراسة

أ - إشكاليّة البحث

ما زالت اللغة الفرنسيّة تزدهر في قطاعات التعليم اللبناني، من الإبتدائي حتّى الثانوي، إذ تتكوّن شبكة مدارس البرنامج الفرنسي في لبنان للسنة الدراسيّة ٢٠٢٠ - ٢٠٢١ من ٤٦ مؤسسة: معتمدة (homologués) من وزارة التربيّة الوطنيّة الفرنسيّة، وستة مدارس متعاقدة (conventionnés) مع وكالة التعليم الفرنسي في الخارج (AEFE)؛ وبالتالي من الطبيعي أن يتوجّه الطلاب إلى إكمال دراستهم الجامعيّة في مؤسّسات فرنكوفونيّة، خصوصًا أنّها توفّر التعليم باللغة الفرنسيّة أساسًا، إلى جانب اللغات الأخرى كالإنكليزيّة والعربيّة. وترتبط باتّفاقيّات تعليميّة وتدريبيّة مع جامعات فرنسيّة، وتسهّل مجالات إكمال المسيرة الأكاديميّة في الخارج.

لكنّنا لاحظنا أنّ الطلّاب يتوجّهون أكثر نحو اختيار اللغة الإنكليزيّة لدى وصولهم إلى المستوى الجامعي، ما جعلنا نتساءل عن واقع اللغة الفرنسيّة اليوم، وأوصلنا إلى طرح الإشكاليّة التالية:

ماذا تمثّل اللغة الفرنسيّة اليوم بالنسبة لطلاب الجامعات التي اعتبرت تاريخيًّا فرنكوفونيّة، وهي الحكمة، الأنطونيّة، الروح القدس الكسليك والقديس يوسف، وهل ما زالت متجذّرة في ثقافتهم اللبنانيّة، وما هو تصوّرهم لمستقبل الفرنكوفونيّة في لبنان في ظلّ توسّع انتشار اللغة الإنكليزيّة؟

وانبثقت من الإشكاليّة الأسئلة الآتية:

- ما هي تمثلات اللغة الفرنسيّة اليوم بالنسبة لطلاب الجامعات الفرنكوفونية؟

– ما هي تمثلات الثقافة الفرنسيّة لهؤلاء الطلاب؟

– إلى أي مدى يعتبر الطلاب أن اللغة والثقافة الفرنسيتين متجذرتين في ثقافتهم اللبنانيّة؟

– ما هو تصوّر الطلاب لمستقبل الفرنكوفونيّة في لبنان؟

ب– عيّنة البحث وحدوده

تكوّنت العيّنة من طلاب الإجازة والماجستير، في الإختصاصات كافّة، بلغ عدد الذين استجابوا ٣٢٦ طالبًا. أُجريت الدراسة الميدانية باستخدام الإستبانة الإلكترونيّة كأداة بحثيّة، من منتصف شهر نيسان إلى نهاية شهر أيار وأوائل حزيران ٢٠٢١. تمّ إرسالها بواسطة البريد الإلكتروني إلى مجموع الطلاب في هذه الكليّات عبر القنوات الإداريّة الرسميّة، الذين أخضعوها إلى اللجان الأخلاقية (comité éthique) بعدها تمّ جمع البيانات بواسطة تطبيق Google Form.

ج– المنهج المعتمد

تمّ اعتماد المنهج الوصفي المسحي الذي يُعرّف بأنّه طريقة لوصف الموضوع المُراد دراسته من خلال منهجيّة علميّة صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصّل اليها على أشكال رقميّة معبّرة يمكن تفسيرها. لا يقتصر البحث الوصفي على جمع البيانات وتصنيفها وتبويبها إلى تحليلها التحليل الكافي الدقيق المتعمّق، بل يتضمّن أيضًا قدرًا من التفسير لهذه النتائج، ثمّ الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة موضوع الدراسة (المحمودي، ٢٠١٩، ص٤٧). ساعدنا هذا المنهج في وصف واقع اللغة الفرنسيّة ومحاولة الوصول إلى معرفة تمثّلاتها الإجتماعيّة والثقافيّة اليوم بالنسبة لطلاب الجامعات الفرنكوفونيّة في لبنان بشكل أفضل.

٢– التمثلات الإجتماعية (Representations sociales)

أثرّت نظريّة التمثّلات الإجتماعيّة، التي صاغها سيرج موسكوفيتشي Serge Moscovici (١٩٢٥–٢٠١٤) في أوائل الستينيّات، وطوّرها على مدى أكثر من نصف قرن، على الباحثين من مختلف التخصّصات في العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة، لكنها بحسب هويجر (Höijer, ٢٠١١) "لا تزال غير معروفة إلى حدّ بعيد للباحثين

الإعلاميّين" (p٣). تأثّر موسكوفيتشي بمفهوم التمثّلات الفرديّة والتمثّلات الجماعيّة Représentations individuelles et représentations collectives عند دوركهايم Durkheim (١٨٥٨-١٩١٧) من حيث تصوّر الواقع الإجتماعي والتفكير فيه وتقييمه، وعدم إمكانيّة اكتساب أيّة ثقافة إلا من خلاله، أو حتّى من خلال تقريب العالم إما بشكل فردي أو جماعي. واعتبر أن دوركهايم، ميّز بين الفكر الإجتماعي والفكر الفردي وحدّد خصوصيّة كلّ منهما. وتعتبر هويجر (Höijer ٢٠١١) "أنّ التمثّلات الإجتماعيّة تدور حول عمليّات صنع المعنى الجماعي التي تؤدّي إلى الإدراك المشترك الذي ينتج روابط إجتماعيّة توحّد المجتمعات والمنظّمات والجماعات" (p٣). وتركّز على الظواهر التي تخضع للنقاش والمشاعر القويّة والصراعات والنضال الإيديولوجي، وتغيّر التفكير الجماعي في المجتمع. بينما ترى دينيس جودليه (Jodelet, ١٩٨٤) "أنّ التمثّل الإجتماعي هو شكل من أشكال المعرفة، يتمّ تطويره ومشاركته إجتماعيًا، وله هدف عملي ويسهم في بناء واقع مشترك لدى مجموعة ما" (p. ٣٦٠). كما تقدّم دراسة التمثّلات الإجتماعيّة بديلاً قويًّا لنماذج الإدراك الإجتماعي، من خلال أبعادها التاريخيّة والإجتماعيّة والثقافيّة وارتباطها باللغة والمتخيّل الإيديولوجي والرمزي ودورها في توجيه السلوك والممارسات الإجتماعيّة.

بقي تعريف التمثّلات غير واضح كلّيًا مع الوقت، إذ يقدّم موسكوفيتشي (Moscovici, ٢٠١٣) نفسه عددًا من التعريفات في كتابه "فضيحة الفكر الاجتماعي" (Le scandale de la pensée sociale) إذ يعد أنّ التمثّلات الإجتماعيّة تشارك في الرؤية الشاملة التي يؤسّسها المجتمع لنفسه، وتعمل على مستويات مختلفة، على صعيد المجتمعات الكبيرة مثل الأمّة والمجموعات الفرعيّة الصغيرة من الناس. كما أنها تشكّل ما يسمّى بشكل غير واضح الضمير الإجتماعي لعصر أو طبقة ما أو الأمّة ككل وتتطوّر التمثّلات التّي ينتجها ويشترك فيها أفراد من المجموعة نفسها في موضوع اجتماعي معيّن باستمرار، فتتغيّر قيم المجتمع ومعاييره ومعتقداته مع الوقت. ولا يتم بالتالي، التمثيل من قبل الأفراد والجماعات إلاّ من خلال الإتّصال والتعاون مع العالم الخارجي. ويضيف موسكوفيتشي أنّه بمجرّد إنشاء التمثّلات، يكون لها وجودها الخاص، ويتم تداولها، وتدمج وتموت أو تؤدّي إلى إنشاء تمثّلات أخرى، سواء أكانت إجتماعيّة أم ثقافيّة، لأنها في صميم الديناميكيّة التفاعليّة بين المجموعات.

وتختلف المضامين والمعاني الممثّلة في المجتمع نفسه والثقافة نفسها، وكذلك في وسائل التعبير اللغويّة الخاصّة بكلّ منهما. وتوصّل موسكوفيتشي في نهاية كتابه، إلى أنّ نظريّة التمثّلات الإجتماعيّة تسعى في المحصّلة إلى فهم الفكر الإنساني وعلاقاته بالفعل (action)، وتسعى في الوقت نفسه لتحريرنا من رؤية مسبقة وثابتة لما يجب أن يكون عليه هذا الفكر. كما تميل إلى جعلنا حسّاسين لتعدّد الكلام المعرفي ولتنوّع أشكال اللغة والفكر الضروريّين لنا للتواصل والعيش في المجتمع، ولن يكون لدينا ثقافة ولا حريّة حقيقيّة دون القدرات العقليّة .

ونستخلص ممّا سبق أن التمثّلات هي المفتاح لمعرفة وفهم العالم من حولنا، كونها مراجع تمّ تطويرها من قبل مجموعة أو مجتمع ما، تسمح للفرد والجماعة بفهم بيئتهم، من خلال تصنيف علاقتها مع الأشياء والأشخاص والظواهر والمعرفة، وهي مرتبطة دائمًا بمواضيع إجتماعيّة وثقافيّة و / أو رمزيّة. وهي عمليّة بناء للواقع وفق تصوّرات الأفراد والجماعات، وتحتوي على مجموع المعتقدات والأفكار والموروثات الثقافيّة التي تراكمت تاريخيًّا لدى أفراد المجتمع. ويكون التواصل أحد الوجوه الثقافيّة في النسيج الإجتماعي عبر التفاعل اللفظي. وتؤكد جودليه (Jodelet, ١٩٨٤) "أنّ التمثلّات تظهر في الخطاب عبر الكلمات والرسائل والصور الإتّصاليّة، ما يضع اللغة وعلاقتها بالثقافة في صميم دراسة هذه التمثّلات" (p.٣٦٠).

يتراوح عدد الناطقين بالفرنسية في لبنان بحسب تقرير المنظمة الدولية للفرنكوفونيّة الصادر عام ٢٠١٤، بين الستّة والعشرين والخمسة والستّين في المئة (OIF, ٢٠١٤). تتجلّى التمثّلات الإجتماعيّة والثقافيّة للغة الفرنسيّة في نواح عدّة، مرتبطة تلقائيًّا بالشخصيّة اللبنانيّة، أبرزها التعبير اللفظي، الذي يظهر من خلال الخلط العشوائي للمرادفات الأجنبيّة خصوصًا الفرنسيّة منها مع اللغة اللبنانيّة المحكيّة، وهي خصوصيّة وفرادة في التعبير عرفت ب"الفرانبانيّة". وكانت كارمن الحاج (El–Hajj, ٢٠١٨) توّصلت في دراستها عن الطريقة التي تتداخل بها اللغات الثقافيّة المختلفة في الصحافة اللبنانيّة، إلى أنّ مزيج اللغة المحكيّة مع اللغة الفرنسيّة وطريقة كتابتها تستعيد خطاب الشباب اللبناني وتجدّده؛ ايّ إنّها تشبه الثقافة اللبنانيّة لغويًّا، كما اعتبرت أنّ اللغة تساهم في تكوين هويّة جماعيّة وتراث ثقافي، تتناقلها الأجيال وتضمن تماسكها الإجتماعي.

٣- التمثّلات الثقافيّة للغة الفرنسيّة (Représentations culturelles)

تعود أقدم تعريفات الثقافة وأكثرها ذيوعًا حتّى الآن إلى الأنثروبولوجي الإنكليزي إدوارد تايلور Tylor Edward (١٨٣٢-١٩١٧) في كتابه "الثقافة البدائيّة" (Primitive Culture) عام ١٨٧١، يذهب فيه إلى أن الثقافة او الحضارة بالمعنى الإثنوغرافي الواسع، هي كلّ مركّب يشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليّات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معيّن (كما وردت في عماد، ٢٠١٦، ص٢٨).

شكّلت الدراسات حول تصوّرات اللغات واستخداماتها منذ الستينيّات إشكاليّة رئيسة، وتستكشف الدراسات صور اللغات وأنواعها وقيمها الذاتيّة لشرح السلوك اللغوي، والتقييمات الإجتماعيّة التي تستنبطها عند المتحدّثين. وتشكّل التمثّلات أساس بناء الهويّة والعلاقة بين الذات والآخرين وبناء المعرفة. تعتبر كاستلوتي وموور (Castellotti & Moore, ٢٠٠٢) "أنّ التمثّلات ليست صحيحة ولا خاطئة ولا نهائيّة، بمعنى أنها تسمح للأفراد والجماعات بالتصنيف الذاتي وتحديد السّمات التّي يرونها ذات صلة لبناء هويّتهم فيما يتعلّق بالآخرين. لذلك يجب اعتبارها عاملاً جوهريًا في التعلّم، ويجب دمجها في سياسات اللغة والإجراءات التعليميّة" (p.٢١) .

وترتبط اللغة التي يستخدمها الإنسان إرتباطًا وثيقًا بهويّته الثقافيّة، وتمثّلاته للعالم، وتتجلّى من خلال الكلام والقراءة والكتابة والقصص والشعر والسينما والموسيقى والأغنيات والمسرح . ويعتبر عبد الغني عماد (٢٠١٦):

> أنّ أفعال الأفراد في المجتمع وسلوكيّاتهم، وردود أفعالهم، انما تصدر متأثّرة بالإنتماء اللاواعي لنسق ثقافيّ معيّن، بحيث يمكن القول أنّ الكثير مما نعتبره سلوكًا فرديًا وإراديًا ليس سوى حصيلة تفاعل سمات النسق الفردي مع سمات النسق الإجتماعي الذي يغذّي سلوك الفرد، ويمنحه تقويماته الخاصّة والمبرّرة لما يقوله أو يفعله او لما لا يقوله أو لا يفعله (ص١٢٥).

وترى مور (Moore, ٢٠٠١) في هذا الإطار، "أنّ الصور والمفاهيم التي يمتلكها الفاعلون الإجتماعيّون للّغة، ومعاييرها وخصائصها ووضعها فيما يتعلّق باللغات الأخرى، تؤثّر إلى حدّ كبير على الإجراءات والإستراتيجيّات التي يطوّرونها وينفّذونها، وكيفيّة العمل على تعلّم هذه اللغة واستخدامها" (p.٩).

وكانت دياب (Diab,٢٠٠٦) قد توصّلت في دراستها إلى أنّ الطلاب لديهم مجموعة متنوّعة من المعتقدات حول تعلّم اللغتين الإنكليزية والفرنسية، يرتبط الكثير منها بالسياق السياسي والإجتماعي والثقافي لتعليم اللغات الأجنبيّة في لبنان.

تبقى اللغة الفرنسيّة من هذا المنطلق، متجذّرة في المجتمع اللبناني، في واقعه التعليمي وفي متخيّله التاريخي الإجتماعي، وتشكّل مظهرًا من مظاهر هويّته الثقافيّة. ويُعتبر الطالب الجامعي في العشرينيّات من عمره، إمتدادًا سوسيولوجيًّا لمجتمع غني بالموروثات الثقافيّة الغنيّة بالمفردات الفرنسيّة؛ بدءًا من أسماء العلم عند المسيحيّين خصوصًا، مرورًا بأسماء الشوارع والمطاعم والمقاهي ولوحات الإعلانات، ناهيك عن الألفاظ المختلطة بين الفرنسيّة واللبنانيّة (Franbanais) إلى غيرها الكثير من المسمّيات التي تطالعه يوميًّا عند كل مفترق من يوميّاته. كما احتلّ لبنان مركزًا رياديًّا في عداد الدول الفرنكوفونيّة في الشرق، لأنّ اختيار اللغة الفرنسيّة لم يرتبط بذهنيّة إيديولوجيّة سياسيّة معيّنة. سمح الدستور اللبناني لكل فئة إجتماعيّة أن تؤسّس مدارسها وجامعاتها الخاصّة فكان الإختيار حرًّا وواعيًا. وتظهر الجداول التالية تمثّلات اللغة والثقافة الفرنسيّة اليوم في حياة الطلاب الجامعيّين، إضافة إلى تجذّرها في ثقافتهم اللبنانيّة وتصوّرهم لمستقبل الفرنكوفونيّة في لبنان.

الجدول رقم ١

توزّع عيّنة الطلاب بالعدد وبالنسب المئويّة على المؤسّسات الأكاديميّة

المؤسسة الأكاديمية	عدد الطلاب	النسب المئويّة
الجامعة الأنطونيّة (UA)	٨٠	٪٢٤,٥٤
جامعة الحكمة (US)	٦٦	٪٢٠,٢٤
جامعة الروح القدس (USEK)	٧٠	٪٢١,٤٧
جامعة القديس يوسف (USJ)	١١٠	٪٣٣,٧٥
المجموع	٣٢٦	٪١٠٠,٠٠

يبيّن الجدول رقم ١ توزّع الطلاب في العيّنة على المؤسّسات الأكاديميّة بحسب المؤسسة. جاءت النتائج كالتالي: بلغت حوالى أربعة وثلاثين في المئة في جامعة القديس يوسف، تليها نسبة حوالى خمسة وعشرين في المئة في الجامعة الأنطونيّة، ثم حوالى واحد وعشرين في المئة لجامعة الروح القدس وحوالى عشرين في المئة في جامعة الحكمة. أخذنا العيّنة كاملة (٣٢٦) للذين استجابوا للإستبانة واعتبرنا أن الفروق ليست بذات أهميّة في نسبة الأعداد بين الجامعات، لأنّ الهدف من البحث ليس المقارنة بينها، إنّما معرفة إلى أيّ مدى ما زالت التمثّلات الإجتماعيّة والثقافيّة للغة الفرنسيّة حاضرة لدى طلاب هذه المؤسّسات مجتمعة.

الجدول رقم ٢

توزّع عيّنة الطلاب بحسب الجنس بالعدد وبالنسب المئويّة على المؤسّسات الأكاديميّة

المؤسسة الأكاديمية	عدد الإناث	النسبة من الإناث	عدد الذكور	النسبة من الذكور	مجموع العدد	النسبة من المجموع
الجامعة الأنطونيّة	٤٣	٥٣,٧٥٪	٣٧	٤٦,٢٥٪	٨٠	٢٤,٥٤٪
جامعة الحكمة	٢٩	٤٣,٩٤٪	٣٧	٥٦,٠٦٪	٦٦	٢٠,٢٤٪
جامعة الروح القدس	٤٣	٦١,٤٣٪	٢٧	٣٨,٥٧٪	٧٠	٢١,٤٧٪
جامعة القديس يوسف	٨٤	٧٦,٣٦٪	٢٦	٢٣,٦٣٪	١١٠	٣٣,٧٥٪
مجموع العدد والنسب المئوية	١٩٩	٥٨,٨٧٪	١٢٧	٤١,١٣٪	٣٢٦	١٠٠,٠٪

يظهر الجدول رقم ٢ توزّع عيّنة الطلاب بحسب الجنس بالعدد وبالنسب المئويّة على المؤسّسات الأكاديميّة. بلغت نسبة الإناث في الجامعة الأنطونيّة حوالى أربعة وخمسين في المئة وحوالى ستّة وأربعين في المئة من الذكور. بلغت نسبة الإناث في جامعة الحكمة حوالى أربعة وأربعين في المئة وستّة وخمسين في المئة من الذكور. جامعة الروح القدس حوالى واحد وستّين في المئة إناث وحوالى تسعة وثلاثين في المئة ذكور، بينما بلغت نسبة الإناث

في جامعة القديس يوسف حوالى ستّة وسبعين في المئة ونسبة الذكور حوالى أربعة وعشرين في المئة. علمًا أنّ نسبة التسجيل بلغت في الجامعات الخاصّة عن العام ٢٠٢٠ في عيّنة الدراسة: إناث ١٧١٣٤ وذكور ١٤٦٨٩ (المركز التربوي للبحوث والإنماء، ٢٠٢١).

الجدول رقم ٣

تمثّلات اللغة الفرنسيّة بالنسب المئويّة في الإجابات تبعًا لكل مؤسّسة أكاديميّة

المؤسسة الأكاديمية	الجامعة الأنطونيّة	جامعة الحكمة	جامعة الروح القدس	جامعة القديس يوسف	النسبة من المجموع
لغة أجنبية أساسية	٦٠,٠٠٪	٧٢,٧٠٪	٦٥,٧٠٪	٦٥,٥٠٪	٦٢,٩٠٪
لغة اجتماعية نخبوية	٢١,٣٠٪	٣٦,٤٠٪	٣٧,١٠٪	٢١,٨٠٪	١٩,٥٠٪
أداة نقل التراث التاريخي السياسي والثقافي اللبناني الفرنسي المشترك	٢٨,٨٠٪	٤٠,٩٠٪	٣٤,٣٠٪	٢٩,١٠٪	٢٨,٧٠٪
الإنتماء للمجتمع الفرنكوفوني	٥٠,٠٠٪	٥٩,١٠٪	٦٤,٣٠٪	٥٤,٥٠٪	٤٢,١٠٪
لغة ثقافية	٦٠,٠٠٪	٦٩,٧٠٪	٧٢,٩٠٪	٥٩,١٠٪	٥٩,٠٠٪
لغة عالمية	٢١,٣٠٪	٣٠,٣٠٪	٣٧,١٠٪	٣٠,٠٠٪	٢٣,٧٠٪
لغة الحداثة	٢٢,٥٠٪	٢٢,٧٠٪	٢٧,١٠٪	١٤,٥٠٪	١٥,١٠٪
لغة اجنبية ثانوية	٢٥,٠٠٪	٢١,٢٠٪	٢٢,٩٠٪	١٥,٥٠٪	٢٢,٧٠٪

يبيّن الجدول ٣ تمثّلات اللغة الفرنسيّة بالنسب المئويّة في الإجابات تبعًا لكل مؤسّسة أكاديميّة. وتبيّن أنّ ستّين في المئة من طلاب الجامعة الأنطونيّة إعتبروا اللغة الفرنسيّة "لغة أجنبية أساسيّة" و"لغة ثقافية" كأعلى نسبة للإجابات وحوالى واحد وعشرين في المئة " لغة إجتماعية نخبوية" و"لغة عالمية" كأدنى نسبة.

رأى طلاب جامعة الحكمة أنّها "لغة أجنبية أساسية" بحوالى ثلاثة وسبعين في المئة و"لغة ثقافية" حوالى سبعين في المئة، وأدنى نسبة "لغة اجنبية ثانوية" مع حوالى واحد وعشرين في المئة. جاءت النسبة الأعلى حوالى ثلاثة وسبعين في المئة في جامعة الروح القدس للإجابة "لغة ثقافية" وتراوحت بين الأربعة والستّين والستةّ والستّين في

المئة للإجابتين "الإنتماء للمجتمع الفرنكوفوني و"لغة أجنبية أساسية" وتدّنت إلى حوالى ثلاثة وعشرين في المئة في "لغة اجنبية ثانوية".

إعتبر طلاب جامعة القديس يوسف أنّ الفرنسيّة هي "لغة أجنبية أساسية" بنسبة خمسة وستّين ونصف في المئة، تلتها في الأهميّة "لغة ثقافية" حوالى تسعة وخمسين في المئة، وأدنى نسبة أربعة عشر ونصف في المئة "لغة الحداثة".

يشير هذا الجدول إذًا إلى أنّ اللغة الفرنسيّة ما زالت تحتفظ بمركزها كلغة أجنبية أساسية في مجموع طلاب الجامعات مع نسبة بلغت حوالى ثلاثة وستّين في المئة لهذه الإجابة. تلتها في الأهميّة لغة ثقافية مع نسبة بلغت تسعة وخمسين في المئة، وهما الصفتان الأبرز من حيث نسبة الإجابات.

الجدول رقم ٤

تمثّلات الثقافة الفرنسيّة تبعًا للمؤسّسة الأكاديميّة بالنسب المئويّة في كل إجابة

المؤسسة الأكاديمية	النسبة المئويّة	ذوق وجمال وأناقة	أداة نقل التراث التاريخي والثقافي	ثقافة دخيلة على مجتمعنا	التعلق بدولة فرنسا	انتماء ثقافي للغرب	جزء من الفرنكوفونية العالمية
الجامعة الأنطونيّة	٪٢٤,٥٤	٪٢٢,٦٣	٪١٩,٠٠	٪٢٨,٥٧	٪٢١,١٠	٪٢٠,٢٤	٪٢٥,٨٥
جامعة الحكمة	٪٢٠,٢٤	٪٢١,٥٨	٪٣١,٤٠	٪١٥,٤٧	٪٢٦,٦٠	٪٢٢,٠٨	٪٢٠,٤٨
جامعة الروح القدس	٪٢١,٤٧	٪٢٢,٦٣	٪٢١,٤٨	٪٢٥,٠٠	٪٢١,١٠	٪٢٢,٠٨	٪٢٢,٩٢
جامعة القديس يوسف	٪٣٣,٧٥	٪٣٣,١٤	٪٢٨,١٢	٪٣٠,٩٦	٪٣١,٢٠	٪٣٥,٦٠	٪٣٠,٧٥
المجموع	٪١٠٠,٠	٪١٠٠,٠	٪١٠٠,٠	٪١٠٠,٠	٪١٠٠,٠	٪١٠٠,٠	٪١٠٠,٠

يظهر الحدول رقم ٤ تمثّلات الثقافة الفرنسيّة تبعًا للمؤسّسة الأكاديميّة بالنسب المئويّة في كل إجابة. تقاربت النسب المئويّة في كلّ مؤسّسة بالنسبة لتمثّلات الثقافة الفرنسيّة إجمالاً. بلغت في الجامعة الأنطونيّة نسبًا تراوحت ما بين حوالى تسعة عشر وتسعة وعشرين في المئة لكلّ إجابة مع تفضيل لكونها " ثقافة دخيلة على مجتمعنا ".

بلغت في جامعة الحكمة ما بين خمسة عشر في المئة رأوها "ثقافة دخيلة على مجتمعنا" وواحد وثلاثين في المئة فضّلوا الإجابة" أداة نقل التراث التاريخي والثقافي". تقاربت النتائج في جامعة الروح القدس ما بين حوالى واحد وعشرين وخمسة وعشرين في المئة في الإجابات، مع تفضيل لكونها "ثقافة دخيلة على مجتمعنا" بينما تراوحت في جامعة القديس يوسف ما بين حوالى ثمانية وعشرين وستّة وثلاثين في المئة ل"انتماء ثقافي للغرب".

تبيّن هذه النتائج أنّ النسب الأعلى والأدنى في كل مؤسسة لا تختلف كثيرًا، أي أنّ السمات المذكورة في الجدول لتمثّلات الثقافة الفرنسيّة، متقاربة ومتداخلة في ما بينها في أذهان الطلاب الجامعيين.

الجدول رقم ٥

اللغة الفرنسية متجذّرة في الثقافة اللبنانية بالنسب المئوية في كل إجابة

المؤسسة الأكاديمية	الجامعة الأنطونيّة	جامعة الحكمة	جامعة الروح القدس	جامعة القديس يوسف	المجموع
عدد العينة	٢٤,٥٤٪	٢٠,٢٤٪	٢١,٤٧٪	٣٣,٧٥٪	١٠٠,٠٪
عبر التخاطب ضمن العائلة	٢١,٢٧٪	٢٠,٥٧٪	١٩,٥٨٪	٣٨,٥٨٪	١٠٠,٠٪
عبر التخاطب ضمن الجامعة	٢٣,٥٠٪	١٨,٠٧٪	١٩,٢٣٪	٣٩,٢٠٪	١٠٠,٠٪
عبر التخاطب بالفرنسية في المجتمع	٢٢,٥٨٪	٢٣,٨٧٪	١٨,٧٠٪	٣٤,٨٥٪	١٠٠,٠٪
عبر القراءة والكتابة والموسيقى والمسرح والسينما	١٦,٤٨٪	٢١,٩٧٪	٢٥,٨٢٪	٣٥,٧٣٪	١٠٠,٠٪
عبر التخاطب بالفرنسية في المدرسة	٢٢,٢٢٪	٢٢,٦٣٪	٢٣,٠٤٪	٣٢,١١٪	١٠٠,٠٪
كلا، اللغة الفرنسية غير متجذرة في ثقافتي اللبنانية	٣٣,٣٣٪	١٦,٦٦٪	٣٧,٥٠٪	١٢,٥١٪	١٠٠,٠٪

يشير الجدول رقم ٥ إلى تجذّر اللغة الفرنسية في الثقافة اللبنانية بالنسب المئوية في كل إجابة. وتراوحت نسبة الإجابات في الجامعة الأنطونيّة ما بين حوالى ستّة عشر إلى حوالى ثلاثة وثلاثين في المئة، مع تفضيل للإجابة " كلاّ اللغة الفرنسية غير متجذرة في ثقافتي اللبنانية ".

تراوحت في جامعة الحكمة ما بين حوالى سبعة عشر وأربعة وعشرين في المئة مع تفضيل للإجابة "عبر التخاطب بالفرنسية في المجتمع"، والنسبة الأدنى " كلاّ اللغة الفرنسية غير متجذرة في ثقافتي اللبنانية ".

بلغت النسب في جامعة الروح القدس ما بين حوالى تسعة عشر وسبعة وثلاثين ونصف في المئة مع تفضيل للإجابة " كلا، اللغة الفرنسية غير متجذرة في ثقافتي اللبنانية "، في حين اعتبروا أنّ اللغة متجذّرة في ثقافتهم "عبر القراءة والكتابة والموسيقى والمسرح والسينما" بنسبة ستة وعشرين في المئة.

تقاربت النتائج في جامعة القديس يوسف ما بين إثنين وثلاثين وتسعة وثلاثين في المئة لمختلف الإجابات، مع تفضيل للإجابة "عبر التخاطب ضمن الجامعة" في حين تدنّت النسبة إلى حوالى ثلاثة عشر في المئة لمن يعتبرون "كلاّ اللغة الفرنسية غير متجذرة في ثقافتي اللبنانية".

تدلّنا هذه النتيجة على تضارب وعدم وضوح في ذهن الطلاب لمدى تجذّر اللغة في ثقافتهم، فهي حاضرة في المدرسة والعائلة والجامعة والمجتمع وعبر القراءة والكتابة والموسيقى والمسرح والسينما، لكنّهم في الوقت نفسه ينفون واقع أنّها متجذّرة في ثقافتهم اللبنانيّة.

الجدول رقم ٦

التصوّر لمستقبل الفرنكوفونية في لبنان بالنسب المئويّة في كل مؤسّسة

المؤسسة الأكاديمية	الجامعة الأنطونيّة	جامعة الحكمة	جامعة الروح القدس	جامعة القديس يوسف	المجموع
النسب المئويّة	٢٤,٥٤٪	٢٠,٢٤٪	٢١,٤٧٪	٣٣,٧٥٪	١٠٠,٠٪
باقية بالتزامن مع اللغة الإنكليزية بسبب التعدد الثقافي	٢٣,٩٤٪	٢٠,٤٢٪	١٧,٦٠٪	٣٨,٠٤٪	١٠٠,٠٪

باقية عبر المشاريع الأوروبية لتطوير الإعلام الفرنكوفوني الرقمي في لبنان	٪٢١,٩٠	٪٢٢,٨٥	٪١٩,٠٤	٪٣٦,٢١	٪١٠٠,٠
باقية ما دامت اللغة الفرنسية لغة النخبة في المجتمع	٪١٩,٨٢	٪٢٤,٣٢	٪٢٢,٥٢	٪٣٣,٣٤	٪١٠٠,٠
باقية ما دامت اللغة الفرنسية مُعتمدة في النظام التربوي	٪٢٥,٢٠	٪٢٢,٤٤	٪٢٢,٠٤	٪٣٠,٣٢	٪١٠٠,٠
مهددة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة	٪٢٦,٩٦	٪٢٠,٢٢	٪٢٤,٧٢	٪٢٨,١٠	٪١٠٠,٠

يظهر الجدول رقم ٦ تصوّر الطلاب للمستقبل الفرنكوفونية في لبنان بالنسب المئويّة في كل مؤسّسة، بلغت النسبة الأكبر من الإجابات في الجامعة الأنطونيّة لصالح "مهددة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة " وهي حوالى سبعة وعشرين في المئة، بينما الإجابة الأدنى كانت " باقية ما دامت اللغة الفرنسية لغة النخبة في المجتمع " بنسبة حوالى عشرين في المئة؛ وتقاربت النسبة لباقي الإجابات ما بين إثنين وعشرين وخمسة وعشرين في المئة.

بلغت النسبة الأكبر في جامعة الحكمة لخاصيّة "باقية ما دامت اللغة الفرنسية لغة النخبة في المجتمع" حوالى أربعة وعشرين في المئة، بينما نالت إجابة "مهدّدة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة" حوالى عشرين في المئة كأدنى نسبة. لكنّ النسب كانت متقاربة في كافّة الإجابات ما بين عشرين وأربعة وعشرين في المئة.

إنتقى طلاب جامعة الروح القدس الإجابة "مهددة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة " بحوالى خمسة وعشرين في المئة والنسبة الأدنى باقية بالتزامن مع اللغة الإنكليزية بسبب التعدد الثقافي في لبنان" حوالى ثمانية عشر في المئة.

يرى طلاب جامعة القدّيس يوسف أنّ اللغة الفرنسيّة "باقية بالتزامن مع اللغة الإنكليزية بسبب التعدد الثقافي" بنسبة حوالى ثمانية وثلاثين في المئة، بينما الإجابة "مهدّدة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة" بلغت ثمانية وعشرين في المئة كأدنى نسبة.

٤ – تحليل النتائج

أوّلاً – في التمثّلات الإجتماعيّة والثقافيّة للغة الفرنسيّة.

إتّفق الطلاب في مختلف الجامعات في العيّنة (الجدول رقم ٣) على أنّ اللغة الفرنسيّة هي لغة أجنبيّة أساسيّة في لبنان، وحصلت هذه الإجابة على نسبة حوالى ثلاثة وستّين في المئة، مع تقدّم لجامعة الحكمة مع حوالى ثلاثة وسبعين في المئة. كما اعتبروها لغة ثقافيّة بنسبة تسعة وخمسين في المئة كنسبة من المجموع بينما تقدّمت جامعة الروح القدس في هذا المجال مع حوالى ثلاثة وسبعين في المئة. واتفقوا على أنّها تمثّل انتماءً للمجتمع الفرنكوفوني بحوالى إثنين وأربعين في المئة مع تقدّم لجامعة الروح القدس أيضًا بنسبة أربعة وستّين في المئة.

تظهر هذه النتائج أنّ اللغة الفرنسيّة في لبنان تحمل موروثات تاريخيّة وثقافيّة تتجلّى في النظام التعليمي. لا تزال المدارس اللبنانية من رسميّة وخاصّة، تتبع النظام الفرنسي في شهاداتها، ففي نهاية المرحلة التكميليّة يجتاز الطلاب إختبار إمتحان الشهادة المتوسّطة "البريفيه" Brevet للالتحاق بالمرحلة الثانوية، وهو دبلوم فرنسي في الأساس؛ ثم عليهم أن يجتازوا إمتحان "البكالوريا" baccalauréat اللبنانيّة أو الفرنسيّة bac français ، يتيح لهم هذا الأخير الإلتحاق بجامعات فرنكوفونيّة، ويُسهّل الدراسة في فرنسا.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الإرث التعليمي الذي أسّسته الإرساليّات الفرنسيّة لسنين طويلة قد أثّر في ترسيخ اللغة الفرنسيّة في النظام التعليمي اللبناني، وعُرفت المدارس الخاصّة عمومًا والكاثوليكيّة خصوصًا والجامعات الخاصّة إجمالاً بجودة التعليم، خصوصًا لناحية اللغات الأجنبيّة، فكانت المطلب الأوّل للعائلات لتوفير تعليم جيّد لأبنائها.

وتحمل اللغة الفرنسيّة (الجدول رقم ٤) تمثّلات مرتبطة مباشرة بالتعلّق بدولة فرنسا بنسبة تراوحت بين الجامعات ما بين حوالى واحد وعشرين وواحد وثلاثين في المئة، على الرغم من تضمّن الفرنكوفونيّة ثقافات متعدّدة ومختلفة تشكّل دول المنظومة الفرنكوفونيّة العالميّة كبلجيكا وكندا وسويسرا ومناطق من أفريقيا، الخ، إلاّ أنّ الثقافة الفرنسيّة تعتبر أبرزها لأنّها تتمحور حول اللغة الفرنسيّة المشتركة.

وتمثّل انتماءً ثقافيًّا للغرب بنسبة تراوحت بين حوالى عشرين وستّة وثلاثين في المئة، وجزء من الفرنكوفونية العالمية بنسبة حوالى عشرين إلى واحد وثلاثين في المئة. لهذا يعتبرها بعض الطلاب ثقافة دخيلة على مجتمعنا بنسبة ما بين خمسة عشر إلى واحد وثلاثين في المئة. يعود السبب ربّما إلى الصبغة التاريخيّة التي ربطت كل طائفة في لبنان بلغة تعليميّة مختلفة، مرتبطة بالسياق السياسي والإجتماعي والثقافي، على الرغم من الإنفتاح تجاه اللغة الفرنسيّة اليوم وإنتشار مؤسّساتها في مختلف المناطق اللبنانيّة، وسقوط السمة الإيديولوجيّة عنها.

ثانيًا – في تأثير اللغة الإنكليزيّة على الفرنسيّة

لا يؤثّر تقدّم الإنكليزيّة على اللغة الفرنسيّة في لبنان ولا يهدّد وجودها، لأن معرفة العديد من اللغات يشكل هويّة الشعب اللبناني، وهو ما توصّل إليه سيزار دمّر (Dommar, ٢٠١٧) في دراسته عن واقع اللغات الأجنبيّة في لبنان، واستنتج أنّه بالرغم من وجود لبنان واحد، الا أنّه ذو وجوه متعدّدة: لبنان العربي، لبنان الأنكلوفوني، ولبنان الفرنكوفوني، ما يعزّز الانفتاح على الثقافات واللغات المتعدّدة.

وترتبط اللغة التي يستخدمها الإنسان إرتباطًا وثيقًا بهويّته الثقافيّة، وتمثّلاته للعالم، نتبيّن هذه الخاصّية من خلال سمات الثقافة الفرنسيّة بالنسبة لطلاب اليوم (الجدول ٤)، فهم يرون أنّها تمثّل الذوق والجمال والأناقة بنسبة تراوحت بين إثنين وعشرين وثلاثة وثلاثين في المئة في مختلف الجامعات فهي مرتبطة في أذهانهم بكلّ ما تمثّله فرنسا من تاريخ وفن وحضارة. كما تمثّل أداة نقل التراث التاريخي والثقافي بنسبة تراوحت ما بين تسعة عشر وثمانية وعشرين في المئة، ما يبرز أهميّتها في المسار التثقيفي، وعادة ما تحتفظ اللغة بمكانة مؤثرة لدى الأفراد إذا كانت تحمل طابعًا ثقافيًا مهمًّا. وكان غيث وشعبان توصّلوا في دراستهم، إلى اعتقاد الشباب اللبناني أن

الفرنسيّة أهمّ من الإنكليزيّة للتعبير عن الذات وفي الأنشطة الثقافية لأنّها لغة الثقافة الرفيعة (Shaaban & Gaith, November ٢٠٠٢) على الرغم من هذا، رأى الطلاب في هذا الإطار، أنّ اللغة الفرنسيّة مهدّدة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة (الجدول ٦)، بنسبة تراوحت ما بين عشرين وثمانية وعشرين في المئة، إذ أنّهم يدركون أنّ العولمة تسيطر عليها اللغة الإنكليزيّة، التي يحتاجون إليها لأسباب عملانيّة في مستقبلهم. على الرغم من هذا يعتبر الطلاب في العيّنة (الجدول ٣) أن اللغة الفرنسيّة عالميّة بنسبة تراوحت ما بين واحد وعشرين وسبعة وثلاثين في المئة؛ ولغة الحداثة ما بين أربعة عشر ونصف وسبعة وعشرين في المئة، مع العلم أنّها تأتي في المرتبة الخامسة انتشارًا في العالم بعد الصينيّة والإنكليزيّة والإسبانيّة والعربيّة، تتواجد في قارات خمس، وتتميّز بحسب المنظّمة العالميّة للفرنكوفونيّة بخصائص اللغة العالميّة وبمكانتها والتأثير الذي تمارسه في أماكن وسياقات مختلفة (OIF., ٢٠١٤)

ثالثًا –في تجذّر اللغة الفرنسيّة في ثقافة الطلاب

لا تزال اللغة الفرنسيّة متجذّرة في ثقافة الطلاب (الجدول ٥) عبر التخاطب ضمن العائلة بنسبة تراوحت بين عشرين وتسعة وثلاثين في المئة، وعبر التخاطب بالفرنسية في المدرسة ما بين حوالى إثنين وعشرين إلى إثنين وثلاثين في المئة وعبر التخاطب ضمن الجامعة ما بين ثمانية عشر وتسعة وثلاثين في المئة، وعبر التخاطب بالفرنسية في المجتمع ما بين تسعة عشر وخمسة وثلاثين في المئة وعبر القراءة والكتابة والموسيقى والمسرح والسينما بنسبة تراوحت ما بين ستّة عشر وستّة وثلاثين في المئة. لكنّنا لاحظنا أن الإجابة "كلاّ اللغة الفرنسية غير متجذرة في ثقافتي اللبنانية" بلغت نسبًا عالية في جامعتي الأنطونيّة حوالى ثلاثة وثلاثين في المئة، وجامعة الروح القدس سبعة وثلاثين ونصف في المئة؛ وبلغت هذه الإجابة النسبة الأدنى في جامعتي الحكمة حوالى سبعة عشر في المئة والقديس يوسف حوالى ثلاثة عشر في المئة. يدل التقارب في نسب الإجابات في كل جامعة على حدى إلى أنّ اللغة الفرنسيّة رغم حضورها في واقع الطلاب اليومي إلاّ أنّها غير واضحة من حيث تحديدها.

قد تختلف النظرة إلى اللغة الفرنسيّة بين طلاب المؤسّسات الأكاديميّة في إحدى سماتها، كاعتبارها لغة إجتماعية نخبوية (الجدول ٣)، فقد بلغت حوالى واحد وعشرين في المئة في الجامعة الأنطونيّة وحوالى إثنين وعشرين في

المئة في جامعة القديس يوسف، لترتفع إلى حوالى ستّة وثلاثين في المئة في جامعة الحكمة وسبعة وثلاثين في المئة في جامعة الروح القدس.

حملت اللغة الفرنسيّة هذه الصفة النخبويّة لفترة طويلة، وارتبطت بالمثقّفين والعائلات الميسورة التي وفّرت تعليمًا لائقًا لأبنائها في مدارس الإرساليّات، فشكّلت مع الوقت نخبًا ثقافيّة كانت تتكلّم الفرنسيّة وتقرأها وتفكّر بها، حيث تشعر بالإنتماء إلى عالم خصوصي فريد وأنيق، واعتبرت "لغة الصالونات"، لما كان للثقافة الفرنسيّة من تأثير قويّ في المجتمع اللبناني الراقي على مرّ التاريخ. ولاحظنا من خلال النتائج، أنّ هذه الصفة لم تعد غالبة عند الطلاب اليوم، فقد تغيّرت النظرة مع تغيّر الظروف الإجتماعيّة.

رابعًا– في التصوّر المستقبلي للفرنكوفونيّة

يبدو أنّ مستقبل الفرنكوفونيّة مرتبط في رأي الطلاب في العيّنة (الجدول ٦)، ببقاء اللغة الفرنسيّة في النظام التربوي اللبناني بنسبة ما بين حوالى إثنين وعشرين وثلاثين في المئة، وببقائها بالتزامن مع اللغة الإنكليزية بسبب التعدّد الثقافي في لبنان ما بين حوالى ثمانية عشر وثمانية وثلاثين في المئة من مجموع الطلاب. كما يعتقد الطلاب أنّها باقية عبر المشاريع الأوروبية لتطوير الإعلام الفرنكوفوني الرقمي في لبنان بنسب بلغت ما بين تسعة عشر وستّة وثلاثين في المئة؛ وربطوا استمراريّة الفرنكوفونيّة ببقائها لغة النخبة في المجتمع، ما بين حوالى عشرين وثلاثة وثلاثين في المئة، لكنّهم يرون في الوقت نفسه أنّها مهدّدة بالزوال بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة بنسب ما بين حوالى عشرين إلى ثمانية وعشرين في المئة.

وكان وولتون (Wolton, ٢٠٠٦) قد توصّل في هذا المجال إلى "أنّ الفرنكوفونيّة هي إطار يحمي التنوّع الثقافي واللغوي الذي يشكّل هاجسًا في يومنا هذا، وهي فرصة أمام العولمة كما أنّ هذه الأخيرة تشكّل فرصة أمام الفرنكوفونيّة التي عليها أن تنفتح على آفاق جديدة" (p.١٨) ، فهي تتمحور حول لغة لكّنها تحمل قيمًا إنسانيّة وديموقراطيّة تشمل بلدانًا ليست بالضرورة فرنكوفونيّة.

وعلى الرغم من واقع أنّ النسب المئويّة للنتائج لا تتعدّى الثلاثين في المئة، إلاّ أنّنا لا نستطيع أن نغفل أنّ لبنان يعود ويجدّد إلتزامه بالفرنكوفونيّة من خلال توقيع إتّفاقيّة "إفتتاح المكتب الإقليمي للمنظّمة الدوليّة للفرنكوفونيّة لمنطقة الشرق الأوسط في بيروت"، الذي جرى في السادس من كانون الأوّل ٢٠٢١، وقّعها المدير التنفيذي للمنظّمة، مندوب الأمين العام جوفروا مونبوتي Geoffroi Montpetit مع وزارة الخارجية والمغتربين عن الجانب اللبناني، بحضور رسمي من رئاستي الجمهوريّة والوزراء، بعد مشاورات خلال قمّة المنظّمة الدوليّة للفرنكوفونيّة، التي انعقدت على مستوى رؤساء الدول والحكومات في يريفان في تشرين الأول من العام ٢٠١٨. تمّ التشديد على أهميّة هذه الخطوة للفرنكوفونيّة، ومتابعة التمسّك بالثقافة واللغة الفرنسيّتين وما تمثّلهما، لا سيما وأنّ اللبنانيّين متمسّكون بهما منذ القدم، وكانوا من أوائل الّذين تكلّموا هذه اللغة في الشرق الأوسط. اعتبر مونبوتي Montpetit "أنّ لبنان شريك فاعل وتاريخي للفرنكوفونية"، ووعد بالعمل على إطلاق ديناميّة متجدّدة معه في ميادين عدّة، لا سيما مع الشبيبة". كما إنّ إقامة الممثّليّة الإقليميّة في بيروت تعني تجديد إعتراف المنظّمة الدوليّة للفرنكوفونيّة بالدور التاريخي المحوري الذي يلعبه لبنان على المستوى الفرنكوفوني الإقليمي والدولي من جهة، إضافة إلى تجديد الإعتراف به لجهة مساهمة اللغة الفرنسيّة في بلورة هويّته القائمة على التعدّدية واحترام الإختلافات (رئاسة الجمهوريّة اللبنانيّة، المديريّة العامّة، مكتب الإعلام، ٢٠٢١/١٢/٠٦) .

وتسهم مؤسّسات الفرنكوفونيّة العاملة في لبنان أيضًا، في الإبقاء على استمراريّتها وحيويّتها في المجتمع اللبناني من خلال المبادرات التي تقوم بها وتلاقي الشباب معها، مثل إطلاق منظّمة (OIF) منصّة إستشارة إلكترونيّة www.consultation-jeunesse-francophonie.org بمناسبة الذكرى الخمسين لوجودها، موجّهة للشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الخمسة عشر والخمسة والثلاثين سنة كجزء من عمليّة بناء الفركوفونية في المستقبل "Francophonie de l'Avenir"، وهو مشروع عالمي في القارّات الخمس. يمكّن المنظّمة الدوليّة من الجمع بين أفكار وتوقّعات هؤلاء الشباب وترجمتها إلى مشاريع ومبادرات مستقبليّة. وتهدف من خلالها إلى إشراكهم بشكل فعّال في بناء مستقبلهم ومستقبل الفرنكوفونية. إنتخبت في هذا الإطار طالبة في جامعة القدّيس يوسف سفيرة

المشروع في لبنان، وتمّ على إثره تنظيم ورش عمل على تقنية Zoom واجتماعات مع شخصيّات فرنكوفونيّة على تطبيق Instagram Live وغيرها من الأحداث (L'Agenda Culturel, ٢٠٢٠).

هذا إضافة إلى مشاريع ونشاطات المنظّمة الجامعيّة للفرنكوفونيّة AUF بالتعاون مع المركز الثقافي في لبنان، التي يشارك فيها طلاب الجامعات وتخوّلهم المشاركة في مؤتمرات وورش عمل، وتفتح أمامهم فرص الدراسة في الخارج، من أهمّها: تمويل مبادرات ومشاريع طلاّبيّة، المسابقة الدولية ل"ريادة الأعمال للطلاب"، المسابقة السنويّة للطلاب، "أطلق العنان لإبداعك"، المشاركة في المؤتمر الأول للفرنكوفونيّة العلميّة، برنامج الدكتوراه وما بعده لتمويل التنقّل البحثي في مجال البيئة، مسابقة Ma thèse en ١٨٠ secondes ، المنح الجامعية ودعم التوظيف والإندماج المهني بعد التخرّج والمشاركة في برنامج Next Generation Fellow (عون، ٢٠٢٢، ص٢٢-٢٣)

خاتمة

لقد هدف هذا البحث إلى معرفة واقع اللغة الفرنسيّة وتمثّلاتها الإجتماعيّة والثقافيّة لدى طلاب الجامعات الفرنكوفونيّة، وتوصلنا بعد تحليل نتائج الإستبانة الإلكترونيّة إلى الخلاصات الآتية:

– ما زالت الفرنسيّة لغة أجنبيّة أساسيّة في لبنان، بنظر الطلاب لأنّها مترسّخة في النظام التعليمي اللبناني، نظرًا للإرث الذي بنته الإرساليّات الفرنسيّة لسنين طويلة. وهي تحمل صفات متعدّدة ولو تفاوتت في أهميّتها، منها أنّها لغة ثقافيّة بدرجة عالية، وهي أداة لنقل التراث التاريخي السياسي والثقافي اللبناني الفرنسي المشترك والإنتماء للمجتمع الفرنكوفوني ما يعطيها مركزًا بين اللغات العالمية.

– لم يعتبر معظم الطلاب أنّ الفرنسيّة متجذّرة في ثقافتهم على الرغم من أنّهم ما زالوا يستعملونها للتخاطب في المدرسة والعائلة والجامعة والمجتمع وعبر القراءة والكتابة والموسيقى والمسرح والسينما ولو بنسب قليلة، فهي حاضرة في يوميّاتهم لكنّهم في الوقت نفسه ينفون واقع أنّها متجذّرة في ثقافتهم اللبنانيّة ؛ وعلى الرغم من أنّها تمثّل انتماءً ثقافيًّا للغرب فهي تمثّل الذوق والجمال والأناقة والتعلّق بدولة فرنسا وترتبط بالفرنكوفونيّة العالميّة.

-لا يوجد تخوّف حقيقي من تقدّم اللغة الإنكليزيّة على الفرنسيّة في المجتمع اللبناني، لأسباب عدّة تعود إلى الموروثات التاريخيّة والإجتماعيّة والثقافيّة، التي تحملها الفرنسيّة، ولأنّ الطلاب اليوم بمعظمهم متعدّدو اللغات.

- في التصوّر لمستقبل الفرنكوفونيّة، نستطيع الإستنتاج أنّ مؤسّسات الفرنكوفونيّة في سعي متواصل للإبقاء على اللغة الفرنسيّة حاضرة في لبنان عبر التعليم والمشاريع المختلفة الموجّهة للطلاب، لكنّ هؤلاء يتخوّفون من زوالها بسبب تقدم اللغة الإنكليزية في القطاعات كافّة عبر العولمة، على الرغم من اعتقادهم أنّها باقية بسبب التعدّد الثقافي في لبنان والمشاريع الأوروبيّة وقطاع التعليم.

بيّنت النتائج تقاربًا في النسب المئويّة لمختلف المتغيّرات الواردة في الجداول، من هنا نستطيع أن نعتبر أنّ التمثّلات الأساسيّة للغة والثقافة الفرنسيّة تبقى موجودة في متخيّل الطلاب، بالرغم من عدم وضوحها أحيانًا. خصوصًا لناحية صفتها النخبويّة، ولمدى تجذّر اللغة في ثقافتهم نظرًا للتغيّرات الإجتماعيّة واختلاف نظرة الشباب إلى الأمور وانتشار الإنكليزيّة كلغة عملانيّة يحتاجها الطلاب أكثر في تصوّرهم لمستقبلهم.

مما لا شكّ فيه أنّ شغف معظم اللبنانيّين للّغات الأجنبيّة واضح، ويمثّل آفاقًا إجتماعيّة وعمليّة، إنعكست على المرافق الثقافيّة ككلّ، من الأدب إلى الفنّ إلى الإعلام، وصولاً إلى طريقة الكلام اليوميّة التي تتميّز بخلط عشوائي للمرادفات الأجنبيّة مع اللغة اللبنانيّة المحكيّة والتي تشكّل خاصيّة لبنانيّة غير موجودة في باقي البلدان. وتبقى الفرنسية لغة راسخة في لبنان بقدر ما يتمّ استعمالها، فهي مكوّن حضاري للمجتمع اللبناني، على الرغم من الانتشار الكبير للغة الإنكليزية التي تعتبر وسيلة للتواصل العالمي والعولمة.

ويُعتبر التحدّث والكتابة والقراءة باللغة الفرنسيّة في لبنان إختيار له مردود فردي أو جماعي يتعلّق باختيار الشخص لبناء هويّته الثقافيّة، وهو فعل يشارك فيه بالعالميّة كونه يصبح فردًا من مجموعة كبيرة تتكلّم اللغة نفسها.

المراجع العربية

- عبد الغني، عماد (٢٠١٦). **سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة** (ط٣). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- عون، حياة (٢٠٢٢). "المسؤولية الإعلاميّة تجاه المجتمع في لبنان في صحيفة L'Orient–Le Jour صفحة Campus مثالاً". **مجلة التنمية والإتصال** (٣٣) ٧-٢٦.
- رئاسة الجمهوريّة اللبنانيّة، المديريّة العامّة، مكتب الإعلام (٢٠٢١/١٢/٠٦) . "توقيع اتفاقية افتتاح المكتب الإقليمي للمنظمة الفرنكوفونية لمنطقة الشرق الأوسط في قصر بعبدا". تمّ الإسترجاع في (٢٠٢٢/٠٤/٠٧- ١٠ ق.ظ.) من: PressOffice@presidency.gov.lb
- المحمودي، محمد سرحان علي (٢٠١٩). **مناهج البحث العلمي**. [طبعة إلكترونية] تمّ الإسترجاع من: https://www.noor-book.com/-pdf-١٥٨٧٠٥٤٥٣٢ الجمهورية اليمنيّة، صنعاء: دار الكتب.
- المركز التربوي للبحوث والإنماء (٢٠٢١). **النشرة الإحصائيّة للعام الدراسي** ٢٠٢٠ -٢٠٢١. الجمهورية اللبنانية. تمّ الإسترجاع في (٢٠٢٢/٠٤/٠٢- ٠١ ب.ظ.) من: https://www.crdp.org/sites/default/files/

المراجع الأجنبية

- L'Agenda Culturel. (٠٤/٠٦ /٢٠٢٠). *LA FRANCOPHONIE DE L'AVENIR*. Divers . INITIATIVE. Disponible sur: https://www.agendaculturel.com/article/
- Ambassade de France à Beyrouth. (٢٤/٠٢/٢٠٢٢) *Coopération universitaire et scientifique*. Disponible sur: https://lb.ambafrance.org/ -٣١٤٦
- Campus France (٠٩/ ٢٠١٩). Fiche statistique Liban. *Les dossiers de Campus France*, (٤٨). Disponible sur: https://ressources.campusfrance.org/publications/dossiers_pays/
- Castellotti, V. & Moore, D. (٢٠٠٢). *Représentations sociales des langues et enseignements.* Division des politiques linguistiques. Conseil de l'Europe. Strasbourg. Retrieved from: https://rm.coe.int/١٦٨٠٨٧٤٥٨d
- Diab, R. L. (٢٠٠٦, March). "University students' beliefs about learning English and French in Lebanon". *System* ٣٤,١: ٨٠-٩٦. American University of Beirut.

- Dommar, C. A. (٢٠١٧). *La vitalité actuelle de la langue française au Liban : une langue en péril ou en évolution?* Montclair State University Theses, Dissertations and Culminating Projects. ١١. Retrieved from https://digitalcommons.montclair.edu/etd/١١
- El-Hajj, K. (٢٠١٨). *La presse francophone libanaise au confluent des langues et des cultures libanaises et françaises : approche socio-sémiotique. Linguistique.* Franҫe: Université Michel de Montaigne - Bordeaux III . Disponible sur: https://tel.archives-ouvertes.fr/
- Gilder A. (٢٤ /٠٤/ ٢٠١٣). "Le Liban dans la Francophonie. Conférence au congrès de la pneumologie libanaise". Beyrouth. Consulté le ٠٥/٢٠٢٠. Disponible sur http://slpsleb.org/
- Hafez, S-A. (٢٠٠٦). *Statuts, emplois, fonctions, rôles et représentations du français au Liban.* Paris: L'Harmattan.
- Höijer, B. (٢٠١١). Social Representations Theory. *Nordicom Review*, ٣٢(٢), ٣-١٦. doi: https://doi.org/١٠,١٥١٥/nor-٢٠١٧-٠١٠٩
- Institut Français du Liban (IFL). (٢٠٢١). "enseignement supérieur et recherche au Liban, échanges entre l'ambassadrice Mme Anne Grillo et les universités et établissements français". Consulté le ٠٤/٠٤/٢٠٢٢). Disponible sur: https://institutfrancais-liban.com
- Jodelet, D. (October ١٩٨٤). Représentations sociales: phénomènes, concept et théorie. *Psychologie sociale* , ٣٥٧-٣٧٨. PUF.
- Retrieved from: https://www.researchgate.net/publication/٣٢٦٨٤٩٦١٢
- L 'Organisation internationale de la Francophonie (OIF) . (٢٠١٩). *Pacte Linguistique entre la Francophonie et le Liban.* . Consulté le ١٠/٠٤/٢٠٢٢). Disponible sur: https://www.francophonie.org/sites/default/files/
- L'Organisation internationale de la Francophonie (OIF). (٢٠١٤). *La langue française dans le monde* . Paris: Éditions Nathan.
- Moore, D. (٢٠٠١). *Les représentations des langues et de leur apprentissage : Références, modèles, données et méthodes.* Paris: Collection CREDIF-Essais, Didier.
- Moscovici, S.(٢٠١٣). *Le scandale de la pensée sociale : Textes inédits sur les représentations sociales réunis et préfacés par Nikos Kalampalikis.* Paris: Editions de l'École des hautes études en sciences sociales. DOI : ١٠,٤٠٠٠/ books.editionsehess.١٨٨٣.
- Shaaban, K., & Gaith, G. (٢٠٠٢ November). "University students' perceptions of the ethnolinguistic vitality of Arabic, French and English in Lebanon". *Journal of Sociolinguistics, ٦(٤),* pp. ٥٥٧-٥٧٤. DOI: ١٠,١١١١/١٤٦٧-٩٤٨١,٠٠٢٠١
- Wolton, D. (٢٠٠٦). *Demain la francophonie.* France: Flammarion.